سقوط سياسة الابتزاز
أو البحث عن تعايش سلمي متكافئ

الدكتور فيصل دراج

يحكم الحقل السياسي العالمي الراهن ثنائية متناقضة : راسمالية / اشتراكية . وهذه الثنائية تتسم بالتناقض البنياني الذي ينسحب على جميع المستويات : نمط الانتاج الاقتصادي ، الرؤية الايدولوجية للعالم ، شكل الممارسة السياسية والدبلوماسية . بمعنى أن كلا من طرفي الثنائية يشكل نقيضا كاملا للآخر . وهذان الكيانان المتناقضان بنيانيا ليسا بمعطيين مباشرين ، بل هما نتيجة لعملية تطور تاريخية طويلة . فالصراع الراهن بين الاشتراكية والراسمالية يمثل شكلا نوعيا جديدا من الصراع : صراع الطبقات على المستوى العالمي ، وهو يمثل تاريخيا امتدادا للصراع الذي كان يدور منذ عهود طويلة بين قوتين متناقضتين : قوى التقدم وقوى الظلام . وهذا الصراع كان في البدء اكثر وضوحا واقل تعقيدا ، لكن ظهور نمط الانتاج الاشتراكي واستمراره وتزايد نفوذه جعل الصراع اكثر صعوبة ، فنضال **الدولة** الاشتراكية يختلف في شكله عن نضال الطبقة العاملة ، فالاولى تناضل من أجل تثبيت سلطتها ، في حين تناضل الثانية من أجل الوصول الى السلطة .

ان اشتداد الصراع بين القوتين المتناقضتين ، أو بشكل أوضح بين المعسكرين العالميين : الاشتراكي والراسمالي أدى الى معطى جديد هو السلاح النووي ، أو توازن الرعب ، أو دبلوماسية شفير الهاوية . فالسلاح النووي وقوة الردع العسكرية أصبحت تحكم طبيعة الصراع بين المعسكرين ، أصبح صراعا هادئا يتمحور على قاعدة لا هادئة ؛ قاعدة مرعبة . وهذا الرعب المتبادل قاد الى استراتيجية جديدة : التعايش السلمي ، حيث أن دمار الخصم أصبح يعني دمار الذات في الوقت نفسه ، أو كما يقول عالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرون « ان وضع القوتين الكبيرتين الراهن يذكرنا بنوع سام من العقارب يموت في نفس الوقت الذي يلدغ فيه خصمه » . ومع اننا لا نتفق مع الفكر السياسي لريمون آرون فاننا نتفق معه في تشبيهه هذا ، الا أنه مع ذلك يجب ان نشير الى أمر هام يتعلق بشكل التعايش السلمي بين الطرفين المعنيين . فالولايات المتحدة الامريكية ، طليعة المعسكر الامبريالي ، تقبل الوضع الجديد مكرهة ، أو كما يقول العرب : مكره أخوك لا بطل . اذ أن عدم لجوئها للسلاح النووي وقبولها **بشكل** خاص من التعايش السلمي لا يعود الى منطلقاتها السياسية والايدولوجية بل يعود الى خوفها من قوة الطرف الآخر . فقبولها هذا اذن آت من عامل خارجي عن بنيانها ، أي من قوة وليونة الطرف الآخر . في حين ان الاتحاد السوفييتي ينهج سياسة التعايش السلمي بسبب مبادئه ومنطلقاته الايدولوجية المدافعة عن هذه السياسة .

أن قبول الامبريالية العالمية بسياسة التعايش السلمي (على الرغم من انه يستغلها احيانا) يشكل نظريا هزيمة وتراجعا له ، وانتصارا للمعسكر الآخر ، ذلك ان الامبريالية